

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

رَدُّ الْعَجْزِ
عَلَى الصَّدْرِ،
بَيْنَ الصَّنْعِ
وَالْإِصْطِنَاعِ فِي
الْآيَةِ وَمَا قَبْلَهَا

جاءت هذه الآية تذكيراً لموسى عليه السلام بقوله: ﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ﴾ [طه: 13]، وتمهيداً لإرساله عليه السلام إلى فرعون، مؤيداً بأخيه بقوله: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ (1).

ومنها: أنه لما عددت الآيات السابقة نعم الله تعالى على موسى عليه السلام؛ جاءت هذه الآية: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ بمنزلة رد العجز على الصدر، وهو قوله: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾، وهو تخلص بديع إلى الغرض المقصود، وهو الخطاب بأعمال الرسالة المبتدأ من قوله: ﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (13) [طه: 13]، ومن قوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (24) [طه: 24] (2).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾: (صنع) أصل، وهو عمل الشيء صنْعاً، وامرأة صَنَاعٌ وَرَجُلٌ صَنَعٌ، إذا كانا حاذِقَيْنِ فيما يَصْنَعَانِهِ (3)، والصُّنْعُ: إجادَةُ الفِعْلِ، فكلُّ صُنْعٍ فِعْلٌ وَلَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ صُنْعاً (4)، والصَّنِيعَةُ: ما أُعْطِيَتْهُ وَأَسْدِيَتْهُ مِنْ مَعْرُوفٍ أَوْ يَدٍ إِلَى إِنْسَانٍ تَصْنَعُهُ بِهِ، وَجَمْعُهَا صَنَائِعٌ (5)، والإِصْطِنَاعُ: افتِعَالٌ مِنَ الصَّنِيعَةِ، وهي العَطِيَّةُ وَالكَرَامَةُ وَالْإِحْسَانُ (6)، وهو أيضاً: المبالغة في إصلاح الشيء (7)، وقيل: هو اتِّخَاذُ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 17/6.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 222/16.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صنع).

(4) الرَّاغِب، المفردات: (صنع).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (صنع).

(6) ابن منظور، لسان العرب: (صنع).

(7) الرَّاغِب، المفردات: (صنع).

الصَّنِيع⁽¹⁾، والمُرَادُ بِالْإِصْطِنَاعِ فِي الْآيَةِ: صُنْعُ الشَّيْءِ بِاعْتِنَاءٍ⁽²⁾، أو بمعنى الاستخلاص.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

معنى الآية: إِنِّي جَعَلْتُكَ مِنْ خَوَاصِّي، واصْطَفَيْتُكَ برسالاتي وبكلامي، فَصَرْتُ بِمَا آتَيْتُكَ مِنْ كَرَامَةِ النَّبُوَّةِ، وَجَلِيلِ النُّعْمَةِ بِالْمَكَامَةِ، أَشْبَهَ بِمَنْ يَرَاهُ الْمَلِكُ أَهْلًا لِكِرَامَتِهِ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ خَوَاصِّهِ، وَيَصْطَنَعُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ، وَالْفِينَةِ بَعْدَ الْفِينَةِ⁽³⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾:

الواو استئنافية، والجملة بعدها مستأنفة لا محل لها من الإعراب⁽⁴⁾.

سَرَّ خَتَامِ امْتِنَانِ اللَّهِ بِاصْطِنَاعِ مُوسَى لِلرِّسَالِ بِالْآيَاتِ:

ختم الله امتنانه على موسى ﷺ بهذه النعمة المذكورة في قوله:

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾؛ لَأَنَّهَا كَالْغَايَةِ وَالنَّتِيجَةِ لِهَذِهِ الْعُنَايَةِ الْخَاصَّةِ وَالتَّهْيِئَةِ الْمُرْعِيَّةِ.

بِلَاغَةُ التَّصْدِيرِ بَيْنَ ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾، وَ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾:

قوله سبحانه: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، هو بمنزلة ردِّ العَجَزِ عَلَى الصَّدْرِ، عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾⁽⁵⁾، وَهَذَا لَوْنٌ بَدِيعِيٌّ يَكْثُرُ وَرُودُهُ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيعِ؛ لِبَيَانِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْ ذِكْرِ النِّعَمِ، وَهُوَ التَّهْيِئَةُ وَالْإِعْدَادُ لَتَحْمُلِ الرِّسَالَةَ الَّتِي سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: 13].

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (صنع).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223 / 16.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 72 / 16، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 198 / 11، والراغب، تفسير الراغب: 112 / 16.

(4) الخطيب وآخرون، التفصيل في إعراب التنزيل: 257 / 16.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223 / 16.

اصطناع الله
لموسى من أسس
الإعداد؛ لتحمل
البلدغ للعباد

تهيئة موسى
معجزة؛ لبلاغ
ما كلف به من
معجزة

من بليغ البيان
المشهور، ردّ
الأعجاز على
الصدور

سِرّ التعبير بالاصطناع دون الصنع:

الاصطناع أبلغ
مِن الصنع،
وأوفى بالقصد
والغاية

أوثر التعبير بالاصطناع في قوله: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾ على الصنع؛ لأنه أبلغ في الإكرام منه، وذلك أن الاصطناع افتعالٌ من الصنع بمعنى الصنّعة، أي: جعله سبحانه محلاً لإكرامه، باختياره وتقريبه منه، وبجعله من خواصّ نفسه⁽¹⁾، وهذا مأخوذٌ من زيادة المبنى في قوله: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾؛ فأصل الكلمة بالتاء (اصتّع) بعد زيادة الألف والتاء على (صنع)، ثم أُبدلت التاء طاءً؛ تقريباً للصوت من الصوت، لأجل حرف الاستعلاء، وهو العين، فصار (اصطنع)⁽²⁾.

دلالة اللام في شبه الجملة: ﴿لِنَفْسِي﴾:

المراد من المرسل
أن يُمَحَّضَ
عبوديته لله، لا
لأحدٍ سواه

دلّ التعبير باللام في قوله: ﴿لِنَفْسِي﴾، التي يسمّيها ابنُ عاشور (لامَ الأجل)، أي: لأجل نفسي⁽³⁾، أي: أجعلك في أوامري، فلا تشتغل إلا بما أمرتك به، وهو إقامة حُجَّتِي وتبليغ رسالتي، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك⁽⁴⁾.

بلغة الاستعارة التمثيلية:

التعبير بالمجاز
بلغة راقية
وإيجاز

في قوله سبحانه: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ استعارةٌ تمثيلية، فقد شَبَّهَ الهيئَةَ المنتزعةً من أمورٍ عديدةٍ، وهي جَعَلَهُ تعالى لموسى ﷺ نبياً رسولاً مُكْرَماً بأنواع الإحسان، كالعصا واليد البيضاء، وجَعَلَهُ كليماً، بالهيئَةِ الأخرى مأخوذةً من أشياء كثيرة، وهي شخصٌ مُقَرَّبٌ للملك، وجَعَلَهُ المَلِكُ مُقَرَّباً عنده، واستخلصه لنفسه؛ فذكر ما هو موضوعٌ للمشبه به، وأريد المشبه⁽⁵⁾، فالكلام تمثيلٌ لهيئَةِ الاصطفاء لتبليغ الشريعة، بهيئة مَنْ يصطنع شيئاً لفائدة

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضى وكفاية الراضى: 201/6.

(2) السمين الحلبي، الذرّ للصون: 40/8، والخطيب وآخران، التفصيل في إعراب التنزيل: 257/16.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223/16.

(4) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 92/3.

(5) الطيّبي، فتح الغيب: 174/10، والشهاب الخفاجي، عناية القاضى وكفاية الراضى: 201/6.

والقنوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 351/12.

نفسه، فيصرف فيه غاية إتقان صنعه⁽¹⁾، وفي هذا تشريف له ﷺ من ربه.

سير العدول عن نون العظمة إلى الإفراد:

عبر في قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾ بضمير الذات المفردة، وعدل عن نون العظمة الواقعة في قوله: ﴿وَفَتَّنَكَ﴾ ونظيره السابقين؛ تمهيداً لإفراد النفس اللأثق بالمقام، فإنه أدخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص، أي: اصطفتك برسالاتي وبكلامي⁽²⁾.

التعبير بضمير
الذات المفردة،
ألبق بمعجزة
الاصطناع

سير اختلاف ﴿وَلِئْصَنَعَ﴾ عن ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾:

في قوله سبحانه: ﴿وَلِئْصَنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ استعير لفظ الصنع للتربية والتنمية؛ تشبيهاً لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنعة فلان⁽³⁾، وأما في قوله: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ فهو استعارة دالة على قرب المنزلة، والاصطفاء من الله سبحانه لعبده موسى، اصطفاءً خاصاً.

الاختلاف في
دلالة الألفاظ،
علته مراعاة
المقصود منها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223 / 16.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 17 / 6، والآلوسي، روح المعاني: 507 / 8.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 218 / 16.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-74-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»